

محاضرة

عن الخط الكوفى فى جميع أطواره [illegible]

ألقاها فى

جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

(فى مساء الخميس ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٥١ (٢٣) مارس ١٩٣٣)

العلامة الآثارى محيى الخط الكوفى



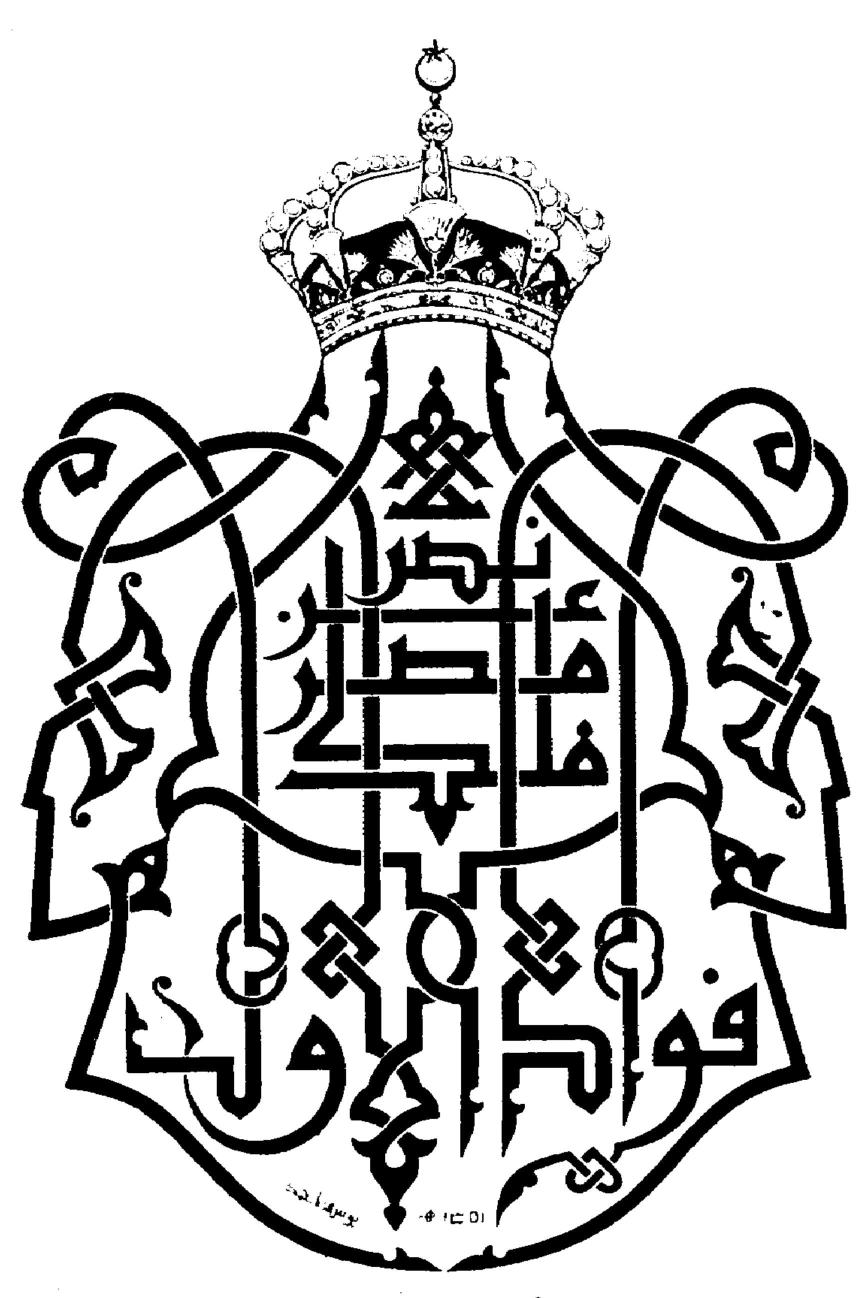


مفتش الآثار العربية سابقا

ومدرس الخط الكوفى فى مدرسة تحسين الخطوط الملكية بالقاهرة

الطبعة الأولى بإشراف مكتب تسهيل الطبع والنشر بالقاهرة

مطبعة حجازى



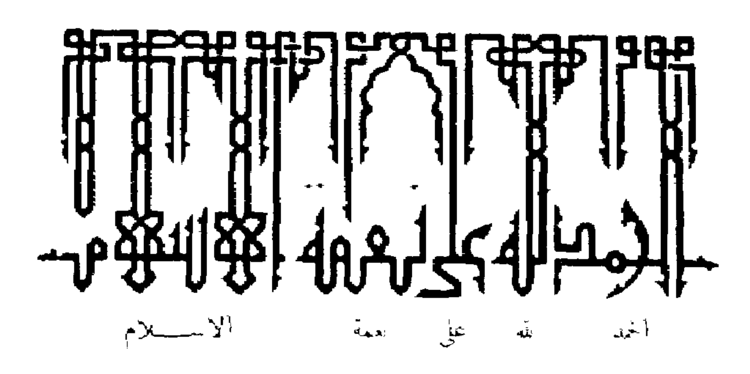
فؤاد الأول ملك مصر عز نصره

نموذج من الخط الكوفي في القرن الثاني

عز لمولانا الملك الكامل العالم العامل
العادل محيي العلم و السنة و مميت
الجهل و البدعة ملك مصر المعظم
فؤاد الاول
ادام الله ايامه و حفظ له ولي عهده
الامير فاروق

عز لمولانا الملك الكامل العالم العامل العادل محيي العلم والسنة ومميت الجهل والبدعة ملك مصر المعظم

« فؤاد الاول » أدام الله أيامه وحفظ له ولي عهده الامير فاروق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين : القائل لنبيه الصادق الامين : « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم »

أحمده كتب على نفسه الرحمة ، وأنذر عباده بكتابه المنزل على سيد هذه الامة ، بقوله تعالى : « وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ماتفعلون »

وأصلى وأسلم على الأمين المأمون ، الذى أوحى اليه ربه فى الكتاب المكنون : « ن والقلم ومايسطرون ، ماانت بنعمة ربك بمجنون » صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

الـكاتبين بسمر الخط ماتركت أقلامهم حرف جسم غيرمنعجم

سادتى : ماكان يخطر لنا قبل هذا العصر الزاهر ، أن نحظى بمثل هذه الليلة المباركة ، التى أنالتنى شرف الوقوف بين يديكم ، لاسمعكم شيئاً عن الخط الكوفى ، وجمال فنونه . ذلك الخط النفيس . الذى تساند مع التاريخ الاسلامى حقبا من الزمن ، وساهم فى الحضارة العربية ، حتى كان من رموز عظمة العرب ، وشواهد مجدهم . هذا العصر السعيد ، عصر العلوم والفنون ، عصر مولانا وسيدنا صاحب الجلالة الملك « فؤاد الاول » الذى بعث الفنون الجميلة من مراقدها ، وأحياها بعد موتها ، والذى جرياً على سنته نهض رجال العلم فأزاحوا رمال الغموض عن كنوز الفنون الثمينة ، فلمعت أنوارها ، وتجلت حقائقها . ـ الملك الذى

« مضت الدهور وماأتين بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه »

بارادته السنية ، ونصرته للعلم والعلماء ، وحبه فى نهوض الأمة إلى أرقى مدارج

الرقى العلمى والفنى ، فتحت مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة ، وحظيت بشرف تدريس الخط الكوفى لطلابه فيها

ولقد كان هذا من قبل ، لايمر بخاطر أحد . فجدير بنا أن نقول فى هذا الملك العالم الجليل

« ملك زهت بمكانه أيامه   حتى افتخرن به على الأيام »

أدام الله لنا أيامه ، وحفظ بعين عنايته ولى عهده المحبوب ، فان حسناته على الامة عميمة ، وعنايته برقيها عظيمة . ولذا وجب علينا أن نقابل نعمه السابغة بالشكر ، و نقف جميعا هاتفين بالدعاء لجلالته . قائلين : فليحى « فؤاد الاول » وليحيي ولى عهده

فضل الكتابة فى رقى الانسان

سادتى : — إن الله سبحانه وتعالى كرم بنى آدم ، وفضلهم على كثير ممن خلق . ومن أجل النعم التى فضلهم بها أن جعل لهم لغة يتكلمون بها فيما بينهم مشافهة ، وعلمهم الكتابة ليتفاهموا بها متباعدين ، مكانا ، وزمانا ، فحفظوا بذلك كيانهم ، وعرفوا ربهم . وكانت خير صلة بين الماضى منهم والحاضر

قدم الكتابة

سادتى : — محال عقلا أن يكون الانسان من عهد خلقه على هذه الدنيا خلوا من الكتابة ، لانه لابد له منها لنظام حياته ، وقد وجدت آثار من الكتابة تعود الى أزمان متغلغلة فى القدم

نعم : إن الفكر ليقف حائرا إذا أراد أن يتصور الاشارة الخطية الاولى التى صدرت من الانسان ، كما أن الباحث وراء ذلك يجد فى طريقه عقبات يتلو بعضها بعضا ، ثم ينتهى إلى دهماء من الحيرة بعيدة الاطراف ، لان أقدم ماوجد من آثار الكتابة لايتجاوز الجزء القليل من حياة الانسان على هذه البسيطة .

وقد اهتم كثير من العلماء المتقدمين ، من عرب ، وغيرهم ، وبحثوا وراء الأدلة التى تمكنهم من معرفة تاريخ الخط من بدء سريانه بين البشر ، أو كيف استنبط ؟ فلم يصلوا فى بحثهم إلى حق اليقين ، وسقط أكثرهم فى مدارك الخطأ ، ولم يتجاوز

أما العلماء الذين بحثوا عن ذلك بعد أن حل العلم ألغاز الخط المصرى القديم ؛ فقد رجحوا أن الكتابة المصرية الهيروغليفية أصل من أصول الكتابات الشرقية ؛ لانها أقرب من غيرها إلى الاختراع ؛ وانها أقدم كتابة وجدت فى عصر التاريخ ؛ وقد وضعت لتدل على اسماء ومعان بينها وبين مسمياتها علاقة فى الصورة

رأى مؤرخى العرب فى أصل الكتابة العربية

بما ان موضوع محاضرتنا الليلة هو « الخط الكوفى » فلنطرق البحث الخاص بالخط العربى ؛ ونبدأ برأى مؤرخى العرب فى أصل خطهم .

أما علماء التاريخ من العرب فقد خاضوا فى هـذا البحث كثيرا ؛ ووقعوا فى الخطأ ؛ كما وقع سواهم ؛ ولكنهم إن لم يكونوا وصلوا إلى الحقيقة ذاتها ؛ فقد عبدوا بعض الطريق المؤدية إلى أصل الكتابة العربية

قال بعضهم : إن أول من وضع الكتابة العربية ثلاثة من طىء من قبيلة تدعى « بولان » سكنت الانبار ؛ وهم « مرامر بن مرة » و« أسلم بن سدرة »و«عامر ابن جـدرة » فالأول وضع الحروف ؛ والثانى فصـل ووصل ؛ والثالث وضع الأعجام . ولم يشر إلى التاريخ الذى ظهر فيه هؤلاء النوابغ

فاذا أنكرنا على هذا المؤرخ أن هؤلاء هم أول من وضع الكتابة العربية ؛ لاستحالة ذلك عقلا ؛ وضعف الدليل . فاننا قد لا نخطىء إذا قلنا انهم أول من أدخل الكتابة على العرب ؛ بدليل أنهم سموا خطهم « الجزم » وهو القطع ؛ ويستدل بذلك على أنهم قطعوا خطهم من الخط الحميرى . وهذا أقرب من القول بأنهم الواضعون الخط .

وقال آخر : ان بنى المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين ــ وكانوا ستة ــ هم الذين وضعوا الكتابة ؛ واختطوها من أسمائهم التى هى : « أبجد . هوز . حطى كلمن . سعفص . قرشت . »

وزاد آخر بعد إيراد هـذا أنهم لما وجدوا فى اللغة حروفا أخرى ليست فى أسمائهم أضافوها إلى حروفهم وسموها « الروادف » ؛ وهى : « ثخذ ؛ ضظغ » فتمت بذلك حروف الهجاء . ويضعف هذا الرأى أن حروف الهجاء بالعبرية مرتبة على هذا النظام ايضا

والحقيقة أن أقوال مؤرخى العرب ؛ تضاربت وتباينت فى هـذا الموضوع ؛

وكل مؤرخ يتكلم عن الكتابة يعزيها إلى رجل ينفرد باسنادها اليه ، مع بعد مابينهما من الأحقاب – حتى أن واحدا منهم قال :

« إن أول من وضع الخط آدم عليه السلام ، فكتب السريانية ، والعربية ، قبل موته بثلاثمائة عام » . ثم صعد به خياله إلى أبعد من ذلك فقال : « إن آدم كتب الخط فى الطين ، ثم طبخه (أى جعله آجرا أو أحرقه) فلما أصاب الأرض الطوفان وجد كل قوم حروفا لكتابة لغتهم ، وجاء اسماعيل عليه السلام فوجد الحروف العربية » .

وهذه الروايات كلها ذكرت قبل اكتشاف اللغة المصرية القديمة ، فلما سطعت شمس العلم والعرفان ، وأميط الحجاب عن الكتابة المصرية ، أجمع العلماء على أنها أقدم كتابة منظمة عرفها التاريخ ، كما قدمنا . ولكن لا يفوتنا أن نذكر العرب بالفضل لانهم أول من فكر فى البحث عن أصل الكتابة

اشتقاق الكتابة العربية

بعد اكتشاف اللغة الهيروغليفية ثبت للباحثين أن كل ماعثروا عليه من اشكال وإشارات منقوشة على الاحجار ، أو الآجر ، أو الأوراق البردية ، وغيرها ، لم يكن إلا كتابة منظمة ، سطرت بلغات أمم بائدة ، كانت على جانب عظيم من الحضارة وعرفوا أيضا أن الحادث من هذه الكتابة مشتق من القديم ، مستندين على مابينهما من الشبه

وقد اختلفوا فى الأصول التى ترجع اليها ، وتعتبر الأم الاولى لها ، ولكن لم يختلفوا فى أن الكتابة المصرية القديمة أصل من هذه الأصول ، ونسبوا اليها كثيرا من كتابات العالم ، كالفينيقية ، والهندية ، والعبرية ، والمسمارية ، والفارسية الفهلوية ، وغير ذلك . إلا أن الاكتشافات الاخيرة التى قام بها العلماء بعد الحرب العظمى زادت الامر تعقيدا ، لانها رفعت الحجب عن حضارة كانت فى الهند ، وفارس ، تعاصر الحضارة المصرية

ويرى بعض العلماء المستشرقين : أن الكتابة العربية والارامية والنبطية أبناء أم لم يعثر عليها بعد . ولكن التنقيب الذى يجرى الآن فى منطقة « أور » عاصمة الكلدان (بين النهرين) كشف عن لوحات فيها كتابة من الخط العربى الأول يرجع عهدها إلى القرن التاسع قبل الميلاد

وهذا الاكتشاف الفجائى قد يغير مجرى الظنون فى اشتقاق الكتابة العربية ويهدى الباحث عنها الى سواء السبيل ؛ وكل آت قريب :

فلنترك هذا البحث الذى قد ينتهى الوقت قبل اتمامه ؛ ونرجع الى أقوال مؤرخينا عن الخط العربى ؛ لنصل مسرعين الى موضوعنا ، وهو « الخط الكوفى »

أصل الخط الكوفى

قال المؤرخون فى ذلك : أن عرب اليمن كان لهم خط يسمى « المسند الحميرى » نسبة إلى قبائل حمير . وكان للعرب القاطنين فى شمال الجزيرة ، وما حول جبال حوران خط يسمى « النبطى » نسبة إلى الانباط الساكنين هناك .

ثم اشتق أهل الحيرة ، والانبار ، من النبطى خطا سمى « الحيرى » أو الانبارى . وهو الذى سمى بعد ذلك « الخط الكوفى » وهو أكثر شبها بالخط النبطى كما ترون حضراتكم فى هذا الجدول .

	مسند حميرى	نبطى أو كندى	حيرى أو انبارى
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]
هـ	[illegible]	[illegible]	[illegible]
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ز	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ط	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ى	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ك	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]
س	[illegible]	[illegible]	
ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ص	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ق	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ش	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ت	[illegible]	[illegible]	[illegible]

كيف انتشرت الكتابة بين العرب

كان المقيمون على سواحل جزيرة العرب ، المجاورون للفرس ، والرومان ، وقبائل حمير ، والانباط ، سكان شمال الجزيرة يكتبون ، لأنهم تعلموا الكتابة من الأمم المجاورة لهم . وبقى القاطنون فى داخل الجزيرة ، والحجاز ، بعيدين عن الخط ، إلى أن نزل مكة رجل من كندة ، يسمى « بشر بن عبد الملك » وكان تعلم الخط من الانبار ، فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبى سفيان ، فتعلم أبوها « حرب بن أمية » وجماعة من قريش منه الخط . وبذلك فتح عصر الكتابة فى الحجاز .

وفى هذا قال شاعر من كندة ، من أهل دومة الجندل يذكر قريشا بفضل بشر عليها فى تعليم الخط .

« فلا تجحدوا نعماء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ماقد كان شتى مبعثرا
وأتقنتمو ما كان بالمال مهملا وطامنتمو ما كان منه منفرا
فأجريتم الأقلام عودا وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمو عن مسند القوم حمير ومازبرت فى الكتب أقيال حميرا

ويروى أن ابن عباس عليهما السلام سئل مرة : من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربى قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، تجمعون منه ما اجتمع ، وتفرقون منه ماافترق ؟ فقال : عن حرب بن أمية . فسئل : ممن أخذه حرب ؟ فقال : من عبد الله بن جدعان ، الذى أخذه عن أهل الانبار ، وهؤلاء أخذوه عن الحيرة ، وأهل الحيرة أخذوه عن طارئ طرأ عليهم من اليمن من كندة .

بذلك نعلم أن الكتابة دخلت الى الحجاز من أهل الحيرة ، والانبار ، نقلها اليها « عبد الله بن جدعان ، وبشر بن عبد الملك » اللذين تعلم منهما حرب بن أمية ، ويكون حرب بن أمية أول من كتب من قريش . ثم أقام بشر فى مكة ، فتعلم منه ومن حرب أيضا جماعة ، منهم « معاوية ، ويزيد ، أبناء أبى سفيان بن حرب ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، وأبو عبيدة »

وتعلم الخط من النساء — « الشفاء بنت عبد الله العدوية » وعلمت السيدة حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بأمر منه

أما المدينة فقد ثبت فى السير أن النبي صلى الله عليه وسلم حين دخلها مهاجرا كان فيها يهودى يعلم الصبيان الكتابة ، وكان فيها جماعة من الرجال يكتبون ، منهم « سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورافع ابن مالك ، وأوس بن خولى » ومن هذا يظهر لنا أن الكتابة دخلت المدينة قبل مكة .

اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بنشر الكتابة

كان صلى الله عليه وسلم يعلم حاجة أمته الى الكتابة ، ليقيدوا بها علومهم . وقد اتخذ كتابا للوحى ، وحث على تعلم الكتابة . وهو أول من عمل على نشر تعليم الخط العربى بين المسلمين ، وأول من اضطلع بالدعاية القوية لتعميمه بين قومه . وامر الشفاء ان تعلم زوجه حفصة الكتابة ليقتدى به المسلمون فى تعليم النساء .

ولما أسر المسلمون فى واقعة بدر جماعة من قريش ، وكان فيهم كاتبون ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم فدية من يكتب منهم تعليم الكتابة لعشرة من مسلمى المدينة . فكانت خطته الحكيمة هذه سببا قويا فى انتشار الخط بالتدريج فى المدينة ، والامصار التى دخلت فى حوزة الاسلام ، فانتشرت الكتابة ورغب فيها الناس ، وتنافسوا فى تجويد الخط ، لانه كان صلى الله عليه وسلم يبعث كتبه الى ملوك الأرض ، ليدعوهم فيها إلى الاسلام ، ويختار لذلك أجود الكاتبين خطا . ومن ذلك نشأت المنافسة فى الاقبال على تعلم الخط العربى .

ومن كتابه عليه الصلاة والسلام ، « على بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد ، وابان بن سعيد ، وأبو سعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء بن الحضرمى ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وأبى بن كعب » وهو أول من كتب له . وأول من كتب فى آخر الكتاب « وكتب فلان »

وكانوا يكتبون بالانبارى ، ثم تدرج الكتاب فى تحسين الخط حتى أخذ قاعدة جديدة ميزته عن الانبارى

ولما اختط سعيد بن أبى وقاص الكوفة بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه نزلت فيها قبائل من اليمن فى جانبها الشرقى وكانوا يعرفون الكتابة بالخط المسند ، فكانت الكتابة فى الكوفة أكثر انتشارا منها فى المدن الاخرى فنسب الخط الكوفى اليها من ثمة .

وكانت الخطوط العربية أربعة : المكى ، والمدنى ، والبصرى ، والكوفى وسميت كلها بعد ذلك بالكوفى من باب التغليب ، ولانها متقاربة فى الشبه

كيف تطور الخط الكوفى

كان الخط بالكوفة يسمى خط الجزم لانه جزم أى قطع من المسند ، وبه كانت تكتب المصاحف، والدراهم ، والدنانير ، وكانت الكوفة تابعة للحجاز أولا، وللشام ثانيا ، وذلك مما دعي كتابها الى استعمال التأنق ، والاجادة فى الخط ، وتحسينه ، ليظهر المجيد منهم

وقد دخل الخط الكوفى الى مصر مع العرب الفاتحين ، وبه كانت تكتب الرسائل بين الولاة ، والخلفاء

ويوجد بدار الآثار العربية حجر عليه كتابة بالخط الكوفى تاريخها سنة ٣١ هجرية عثر عليه بأسوان حضرة صديقنا الاستاذ حسن أفندى محمد الهوارى الامين بدار الآثار . وهذه صورته أهداها لنا حضرته ونص الكتابة ما يأتى :



(١) بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
(٢) لعبد الرحمن بن خير الحيرى اللهم اغفر له
(٣) وأدخله فى رحمة منك وانا معه (١)
(٤) استغفر له إذا قرأ هذا الكتب
(٥) وقل آمين وكتب هذا ا
(٦) لكتب فى جمدى الا
(٧) خر من سنة إحدى و
(٨) ثلثين

---

(١) هذه الكلمة يغلب على الظن أنها (وائتنا معه)

ومما يستحق الذكر حجر وجد فى فلسطين عليه كتابة نصها :

(١) (الطريق . . .
(٢) عبد الله عبد الملك
(٣) أمير المؤمنين رحمت الله
(٤) عليه من إيليا الى هذا
(٥) الميل ثمنية أميال)

وهذه صورته



فلما كان العصر العباسى توجهت العناية فى بغداد الى تجويد الخط الكوفى ، وتحسينه ، لاتخاذ الكتاب المنازل الرفيعة عند الخلفاء والملوك والامراء — فاخذ فى التطور السريع ، وخالفت أوضاعه فى بغداد ، أوضاعه فى الكوفة ، والبلاد الاخرى فى الميل الى إجادة الرسوم ، وجمال الشكل ، وتمشى فى التحسين الى الامام ، فادخلت عليه الفنون من الزخارف ، والاوضاع المبتكرة ، واستمر فى ابتكار وتحسين ، حتى أصبح له جمال خاص ، وروعة بديعة ، قلما توجد فى الخطوط العربية الاخرى ، أو الافرنجية ، مع بقاء تسميته بالخط الكوفى . وقد شمله هذا التحسين فى كل أنحاء المملكة الاسلامية ، لان تبادل الكتب كان يدعو الكتاب الى التمشى مع الجديد

وبقى الخط الكوفى مظهرا من مظاهر جمال الفنون العربية ، وتبارى الكتاب فى إدخال التحسين على حروفه ، والتفنن فى زخرفتها ، لانهم وجدوها تقبل التمشى مع كل فنان ينتقل بها من جميل الى أجمل ، ومن حسن الى أحسن

وكان فى آخر أيام دولة بنى أمية كاتب عبقرى يسمى (قطبة) فرأى أن يخرج من قيود الخط الكوفى ويظهر الى العالم بقاعدة جديدة يشتهر بها ، وتنسب اليه (١) وكان أكتب أهل زمانه ، فاخترع الخط الجليل ، والخط الطومارى ، وهما

(١) ان روح التجديد والاجتهاد كانت فى ذلك العهد قائمة فى نفوس العرب فى كل علم وفن ، لافرق فى ذلك بين ساداتهم ومواليهم . وكان المجتهد منهم ، والمجدد ، يجد أمامه طريقا واسعة الى العلياء ، فيجتهد أن يصل اليها ، وكانت الملوك يقدمون العالم لعلمه ، وتفوقه فى فنه ، ويجلونه ويرفعون شأنه . وقد نبغ نصيب فى الشعر ، وطاوس فى الفقه ، وهما من العبيد الموالى ، فادناهما هشام بن عبد الملك ، وقربهما من مجلسه ، وحجب كثيرين من سادات العرب . وعلى مثل هذا الاساس المتين قام بناء العلوم والفنون الشامخ فى دول الاسلام

خطان لكل منهما شكله ورونقه ، ولم يصل الى شيء منهما إلا انى أقطع بأنه خرج فيهما قليلا عن الخط الكوفى الذى كان فى أيامه

مبدأ رقود الخط الكوفى

بهذا التطور الذى أحدثه قطبة باختراع قلميه المذكورين فتح أمام الخطاطين باب الاستنباط والاختراع . فأخذ كل كاتب يستخدم مواهبه الفنية فى إيجاد قاعدة فى الخط جديدة حتى كثرت أشكال الكتابة ، وتنوعت الخطوط أصولا وفروعا ، وأقبل الناس على حب الجديد وإحلاله محل القديم ، وخرجوا عن الخط الكوفى بجميع أشكاله الى خطوط جديدة ؛ فأخذ الخط الكوفى ينسحب من هذه الحلبة شيئاً فشيئاً حتى ظهر الكاتب العبقرى «محمد بن على بن مقلة » واشتق من الخطين « الجليل ، والطومار » نوعا سماه «البديع» وأخذ يحسنه ، ويهذبه ، حتى طابق اسمه مسماه ، وهو الذى حفظته الايام ، واحاته منزلته النفيسة بين الانام ، ثم أوصلته الينا على غاية من الجمال والكمال ؛ وهو الخط «النسخ» المعروف الآن ، وبظهوره تم انسحاب الخط الكوفى الزاهر من ميدان الكتابة الاجتماعية ، ورضى بأن يكون زاهدا ناسكا قانعاً بسكنى المساجد والمحاريب وزخرفة المصاحف . فكان يكتب فى المساجد والمصاحف تبركا وحلية ، وفى القصور والاسوار وغيرها للحلية والتاريخ ، لأنه طوع كاتبه يتمشى معه فى كل زخرف وهندسة وتشكيل ، مع بقاء حروفه على قاعدتها . وبقيت حياته على هذا الهدوء والاعتكاف الى أن دخل مصر السلطان سليم العثمانى ، ودخل معه الخط الجلى ، والفارسى ، والرقعة ، هنالك أغمض الخط الكوفى جفنيه ونام ، وحل محله الخط الجليل ، والفارسى ، فى المساجد والمقابر والقصور ، والنقود . وخط الرقاع (الرقعة) فى الرسائل

كيف عاد الخط الكوفى إلى الميدان

ثم تنوسى الخط الكوفى بعد ذلك ، وتوالت عليه السنون ، فأصبح من الالغاز المعقدة التى يصعب حلها الى أن قامت لجنة حفظ الآثار العربية المشكلة فى سنة ١٨٨١ ميلادية ، وبدأت فى اصلاح وتعمير ما لعبت به أيدى الايام . من المساجد وغيرها ، واضطرت الى اعادة زخارفها ، وكتابتها ، الى مثل ما كانت عليه وقت نشأتها فكان أعقد ما فى أعمالها تكملة النقص فى الكتابة الكوفية . وليس فى الديار المصرية وقتئذ من يقرؤها فضلا عن كتابتها

ومن حسن حظى ان عينت فى اللجنة «رساماوخطاطا» فكان تعيينى هذافاتحة جديدة لحياة الخط الكوفى ، وبعثاله بعد لبثه فى كهف النسيان نحو أربعةقرون ولى الشرف بأن أكون أول من قرأ الخط الكوفى فى الديار المصرية ، وحل معماه ، وأكمل نقص كتاباته فى الآثار . بل أنا الذى أعدت الخط الكوفى الى عصر أزهى من عصوره ، وذهر أبهج من دهوره . وهو عصر مولانا الملك المعظم « فؤاد الاول » الذى أمر بتدريس الخط الكوفى فى مدرسة تحسين الخطوط ، بعد أن أهمل تعليمه مئات السنين

ولكن هل تعلمون كيف أحييت أنا الخط الكوفى ؟

احياء الخط الكوفى

هذا بحث من الذ البحوث ، وحديث من أشهى الاحاديث ، لست أحدثكم به افتخاراً بما فعلت ، أو امتنانا على الخط ، بأحياء بعض أصوله . حاشا : ولواردت ذلك لجهرت به من زمن بعيد ، ولكررته فى كثير من المناسبات ، ولكنى اردت أن أرى الشباب الناهض بأن من جد وجد ، وان المصرى إذا هم بشىء ، ووجه عنايته الى بلوغه ، استطاع أن يذلل كل مايعترضه فى طريقه من العقبات ، حتى يصل الى مراده

وقبل الدخول فى هذا الموضوع أتقدم بمقدمة صغيرة تبين لحضراتكم ماللوالد من القيمة الصحيحة فى سعادة ولده ومستقبله .

كان والدى رحمه الله تعالى وهو المعلم احمد يوسف نحاتاً وكان دقيق الصنعة يفكر دائماً فى اتقان عمله ، وتقدم صناعته . واشتغل فى أول أمره بعمارات الأوقاف كأحد المقاولين . فظهرت عبقريته ظهوراً أدهش المهندسين وقتئذ . وان من آثار يده تلك القبة الفخمة التى بجوار سراى عابدين العامرة ، وكلها من الحجر المنقوش ، وكذا باب سراى البارودى بغيط العدة ، فانظروا إليهما اذا شئتم .

وقد اشتهر ببناء المآذن المحكمة ، والقباب العظيمة الشاهقة ، والمقرنصات البديعة على أشكالها ، وغير ذلك ، مما هو داخل فى طرز البناء العربى .

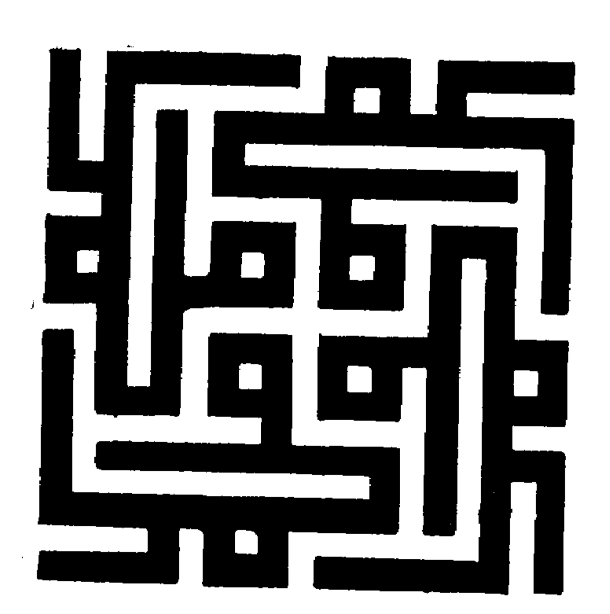
ثم ألحقته الأوقاف بخدمتها مهندساً معمارياً فى لجنة الآثار العربية فكان يسند إليه فيها جلائل الأعمال ، وهو أول من اخترع طريقة اصلاح الجدر (الحيطان) المائلة ، وتقويتها بغير هدم .

فلما أتممت دراستى صار يصحبنى معه ويرينى الرسوم التى بالجوامع والنقوش

والزخارف الباقية فيها ويكلفنى أن أقلدها . ويقول لى : لاتترك لحة تمر بك دون أن ترسم فيها شيئاً من هذه الرسوم على الورق . فأخذت أنفذ رغبته ، واتخذ ذلك لعبا ، إلى أن آنس منى أن يدى بدأت تخط بعض الصواب ، فصار يكلفنى أن أقلد الرسوم المتقنة ، وكان يكافئنى على ذلك إذا أتقنت رسم مايكلفنى به . فكان ذلك أكبر مشجع لى على الاتقان .

ثم أخذ يكلفنى تقليد الخط الكوفى من قاعدة المربعات ، لأنه أسهل أنواعه واعطانى رسما مكتوبابه اسم « محمد » أربعمرات لانقله ، ولا أعرف ، ولا يعرف هو من هذا الخط أكثر من كتابة هذا الاسم . وأمرنى بتقليده ، وافهمنى أن هذا النوع من الخط لايجيء إلامفرداً أى أن الخطوط الشطرنجية التي يتكون منها الاسم لاتأتى إلا فردية . لحفظت ذلك جيداً ، ولا أزال أذكره

وقد ابتهجت بهذه الملاحظة ، وصرفت همتى الى تقليده ، ونقله ، رغبة وتسلية ، وهذه صورته



ثم انقلب ذلك الى عمل جدى ، ووجدت عندى روح الميل الى حب هذه الكتابة ، وفهم قراءتها . وكنت أحفظ القرآن الكريم ، فكان ذلك أكبر معين لى ، لأن أكثر ما كان يصادفنى آيات من الكتاب العزيز .

ثم دخلت تلميذاً فى لجنة الآثار العربية ، وصرت أذهب مع والدى فى مهام صناعته ، وبعد سنة ظهرت نجابتى فعينت رساماً وخطاطاً فى سنة ١٨٩١ لأنهم وجدوا عندى بعض المام بالخط الكوفى ، لم يجسر غيرى على ادعائه وقتئذ .

هنالك زادت رغبتى ، واتجهت همتى الى اتقان الخط الكوفى اتقاناً صحيحاً وتركت الخط الثلث الذى كنت أتقنه فى المدرسة لاشتغالى بغيره من الخطوط الاثرية وكان مساعدى على تعليم الخط الكوفى أمران :

الأول : مرافقتى لوالدى الذى احرص على تعليمى الخط الكوفى

الثانى : ان الذى أريد تعلمه أصبح من أعمال وظيفتى الرسمية ، فصار الموضوع بذلك حديثى وشغلى فى جميع أوقاتى .

ولما كان الغرض من لجنة حفظ الآثار العربية هو المحافظة على الآثار واعادتها الى أصلها ، بكتاباتها وزخارفها . وكان هذا من أعمال وظيفتى صرت أقلد كل كتابة من الكتابات المنقوشة على الآثار ، واكتب على أسلوبها ، واتمم النقص الذى يكون على الآثار منها ، وقد كان يصعب تمييز ما اكتبه حديثا من الكتابة القديمة ، حتى أن المرحوم اللورد كرومر لما لاحظ ذلك اقترح على باشمهندس اللجنة وضع خط أحمر يفصل بين الكتابتين ، الحديثة التى بخطى ، والقديمة الأصلية لتمييزهما عن بعضهما .

وفى أثناء ذلك شرعت اللجنة فى ترميم النوافذ الجصية التى بالجنب الشرقى فى جامع احمد بن طولون ، وهى مزدانة بالخط الكوفى من جمل وآيات متنوعة .

وكان عددها فى جدران الجامع الأربعة ١٣٠ نافذة ، فهالنى الموضوع فى أول الأمر ، وخفت أن أعجز عن القيام بما انتدبت له . ولكن أذهب خوفى قول المتنبى فى أمثاله :

« وما الخوف إلا ماتخوفه الفتى   ولا الأمن إلا ماراآه الفتى أمنا »

فشرعت فى اتمام مأموريتى بقلب مطمئن .

وكانت هذه النوافذ على ارتفاع عظيم ، وكان لابد لى من ارتقاء السلم الخشبى حتى أصل إليها ، فكنت أصعد الى النافذة واجهد نفسى حتى استطيع قراءة المكتوب فيها واعرف الكلمات أو الحروف التى عبث بها الدهر ، ثم أنزل واصعد الى جملة نوافذ غيرها ، باحثا عن النافذة فيها الخط المماثل ، والتى فيها مثل الكلمات أو الحروف الناقصة ، ثم انقلها وارسمها .

ومتى تم اصطلاح النافذة الأولى ، عمدت الى الثانية ، وهكذا حتى أكملت الكتابة الناقصة فى جميع النوافذ التى تم اصلاحها

ولاأستطيع احصاء عدد المرات التى اضطررت فيها الى صعود السلم ، وقد تجاوزت مئات المرات بلاشك .

فما انتهت هذه المأمورية الاوكنت قطعت شوطا بعيدا فى قراءة الخط الكوفى قبل النبوغ الكافى فى كتابته . وزادت رغبتى ، وصحت عزيمتى ، حينما رأى رؤسائى عملى مطابقا للصواب ، وصادف عندهم أحسن إعجاب

بعد ذلك شرعت اللجنة فى ترتيب الآثار التى كانت بجامع الحاكم فى بناء به اتخذ مبدئيا كمتحف لها ، وهو البناء الذى به مدرسة الساحدار الآن .

وكان فى المتحف المصرى بالجيزة ألواح من الرخام والحجر الجيرى والرملى فأهدتها للجنة حفظ الآثار ، وكانت نحو ثلاثة آلاف حجر من شواهد القبور مكتوبة بالخط الكوفى على قواعد مختلفة ، فانتدبت لاستلامها ، وتنسيقها ، بحسب التواريخ لوضع بعضها فى ملحق أعدلها بجوار البناء .

فشعرت بباعث جديد زادنى حبا وشغفا ، وكنت استكبرت الأمر فى بدئه ولكن دفعنى الى المضى فيما كلفت به قول المتنبي :

«اذا فل عزمى عن مدى خوف بعده فأقرب شىء ممكن لم يجد عزما»

فصرت اقرأ كل حجر على حدة ، وبالتعبير الصحيح صرت افك رمزه ، وأحل لغزه ، ومتى عرفت تاريخه وضعته فى ناحية . حتى انى تمكنت من دراسة جل هذه الأحجار ، مع ما كان بالدار قبل ذلك من الأحجار الأخرى الكثيرة العدد فتمكنت بذلك من الاهتداء الى معرفة قواعد الكتابة الكوفية ، فى كل زمن من وقت حياتها الى القرن الرابع ، بأصدق الأدلة ، وهى التواريخ المنقوشة معها على كل حجر منها . ثم أخذت أتقن كتابة كل قرن على حدة ، وساعدنى على ذلك ما كنت أشتريه لنفسى من الألواح الرخامية المنقوشة بالخط الكوفى من شواهد قبور مدينة الفسطاط

ثم شرعت اللجنة فى ترميم الازهر الشريف وكنت تقدمت فى الكتابة تقدما ظاهرا ، فأخذت فى اكمال الناقص من الكتابة التى بداخل الجامع ، وكانت تخالف كتابة الأحجار و نوافذ ابن طولون بكثرة رسومها وزخارفها فصرت أوالى عمل الليل بالنهار واسهر الليالى الطوال فى الجامع على ضوء الشمعة فوق الأصاقيل لدراسة الخط القديم الموجود فيه . حتى استطعت القيام بمأموريتى على أكمل وجه .

ومن محاسن الصدف أن سمو الخديو عباس حلمى الثانى زار الأزهر وقت اشتغال العمال فى ترميمه سنة ١٣٠٩ هجرية وأعجب بالخط الكوفى ، وقدمنى الى سموه حضرة صابر بك صبرى باشمهندس الاوقاف وقتذاك باعتبارى المصرى الوحيد الذى يعرف هذا الخط ؛ فسألنى سموه عن كيفية كتابته ، فكتبت بحضرته « بسم الله الرحمن الرحيم »

فكان إعجابه عظيما لوجود من يقرأ ويكتب الخط الكوفى فى مصر

وبعد اتمام الترميم فى الأزهر شرعت اللجنة فى إصلاح الجوامع والمحال الأثرية التى فى بعضها الخط الكوفى ، واحداً بعد واحد ، فأصلحتها . وبذلك أصبحت لا يعجزنى من الخط الكوفى شىء . وقد كانت هذه الجوامع مدرستى التى تعلمت فيها الخط الكوفى والزخارف العربية . وأعدمنها « جامع الحاكم ، والجامع الاقمر ، وأبواب سور البلد ، والصالح طلائع ، ومسجد سيدى معاذ ، ومشهد السيدة رقية ، وقبة اخوة يوسف ، ومسجد الجيوشى ، وقبة سيدى يحيى الشبيه ، ومسجد السلطان حسن ، ومسجد الغورى ، وقبته بالغورية ، وقبة الغورى بكوبرى القبة ، ومسجد سليمان باشا بالقلعة » الى غير ذلك

ثم زادنى رغبة وإقداما انى عرفت لدى المستشرقين ورواد الاثار العربية من الغربيين ، وفيهم من زار الازهر وبعض الاثار قبل اصلاح النقص فى كتاباتها ، ثم زارها بعد ذلك ، فأخذه العجب ، وعلم أننى انا الذى أكملتها ، حتى أن بعضهم طلب الى أن أريه كتابتى فى الازهر لانه لم يستطع أن يميز بين الجديد والقديم

بعد هذا شعرت بأنى بلغت شأوا بعيدا فى الخط الكوفى انفردت به ؛ وأكد لى ذلك ما كان يطلب منى من الكتابة لتجار الآثار ليجعلوها حفرا على الخشب ، أو نقشا على النحاس ، أو الرخام ، وغير ذلك ، ولم يكن لى فى ذلك مزاحم

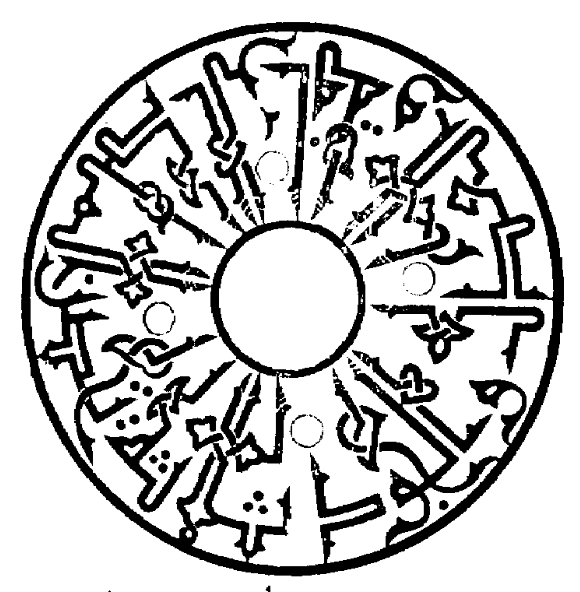
وقد وصل بى هذا العمل المهم الى معرفة شىء فى الخط الكوفى لا يستهان به ، وهو أن حروفه تقبل من الزخرفة ما لاحد له ، مع حفظ كيانها الحرفى . فأخذت أتفنن فى إدخال الرسم على الكلمات فى كتابتى ، وارتقى بها من بديع الى أبدع ، حتى سنة ١٣٢١ هجرية حين عملت الحكومة المصرية مسابقة عالمية بين الخطاطين ، رغبة فى إصلاح خطوط المطبعة الاميرية ، ومن بينها الخط الكوفى ، وحددت لتقديم النماذج وقتا كافيا . عند ذلك شمرت عن ساعد الجد وأعدت دراسة الخط الكوفى فى جميع فنونه وقواعده ، وظننت أن الاقطار العربية غاصة بمن يكتبون هذا الخط ،

ولكن ظهر لى بعد ذلك انه لم يتقدم للمسابقة فى الخط الكوفى إلا إثنان : احدهما «دمشقى» وقدم خمسة نماذج . والاخر «تونسى» وقدم ثلاثة نماذج . وأنا قدمت ٢٧ نموذجا منها ١٧ نموذجا عن قواعد الكوفى الاصلية ، والباقى عن الفروع .

ولكن لان اللجنة التى عهد اليها وقتئذ تقدير الفن لا تعرف من أمر الخط الكوفى أكثر مما يعرفه الناس ، منحتنى الجائزة الثانية ، فلم يفل ذلك من عزيمتى . لأنى عرفت قيمة كتابة غيرى فيه، بل زادنى إيمانا بصحة علمى وفنى

كتابة أوسمة الدولة بالخط الكوفى

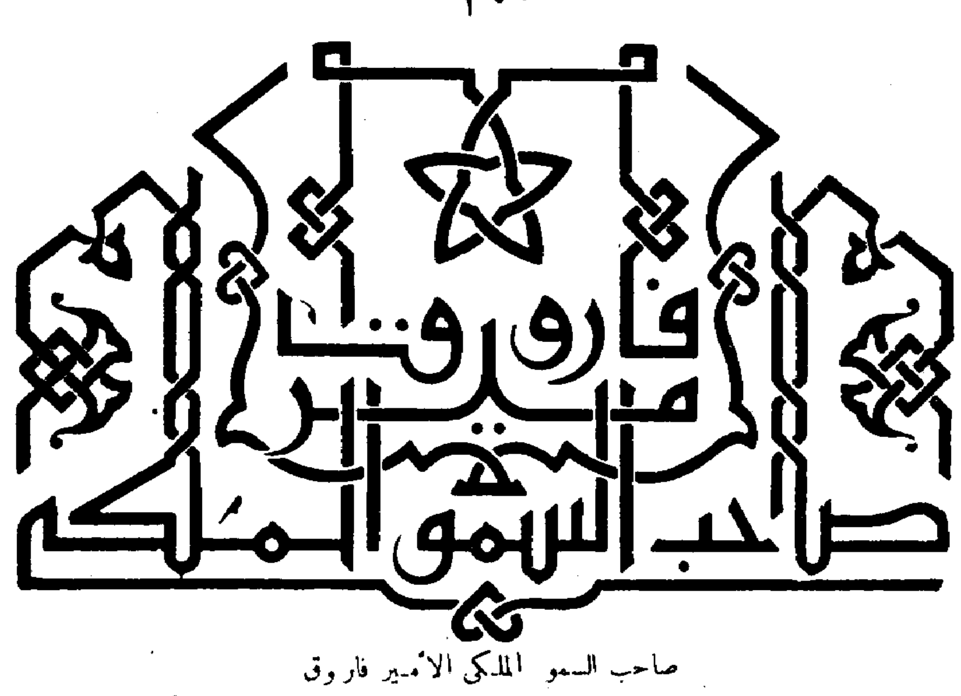
ومن الأمور التى يحق لى أن أفتخر بها أن الحكومة المصرية أرادت فى سنة ١٣٣٣ ﻫ أن تكتب أسماء أوسمة الدولة ، فوقع الاختيار على الخط الكوفى لجماله وإبداعه . ولم تجد فى أقطار العالم من يجيده غيرى . فأسندت إلى هذه المأمورية فأديتها على أتم وجه . وها أنا أعرض على حضراتكم منها صورة كتابة وسام «محمد على»



ثلاثة تحصن الملك الرأفة والعدل والجود

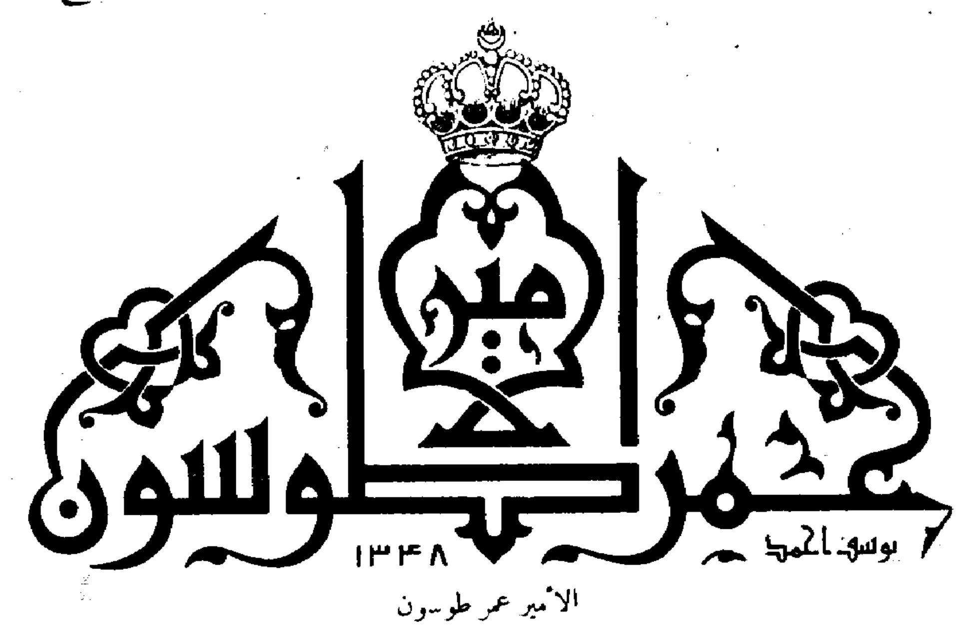
وباتخاذ الحكومة المصرية السعيدة الخط الكوفى فى أوسمة مجد أبنائها رفعت الخط الكوفى إلى المكانة اللائقة به . وقد أحييت بذلك رمزاً من رموز المجد العربى .

ثم بدأت بعد ذلك فى اختراع كتابة الاسماء بالخط الكوفى محلاة بالرسم الذى يصلح لها ، منها اسم مولانا صاحب الجلالة الملك ، وهو المحلاة بالصفحة الثانية واسم « صاحب السمو الملكى الامير فاروق »

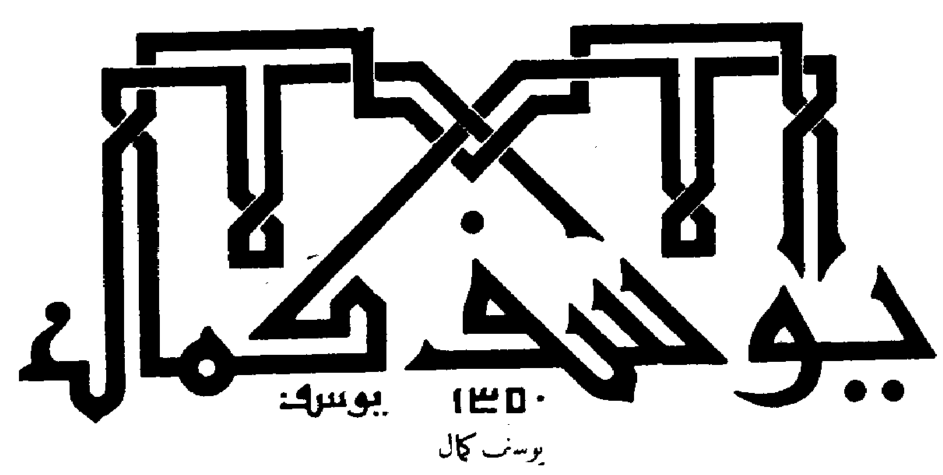


صاحب السمو الملكي الأمير فاروق

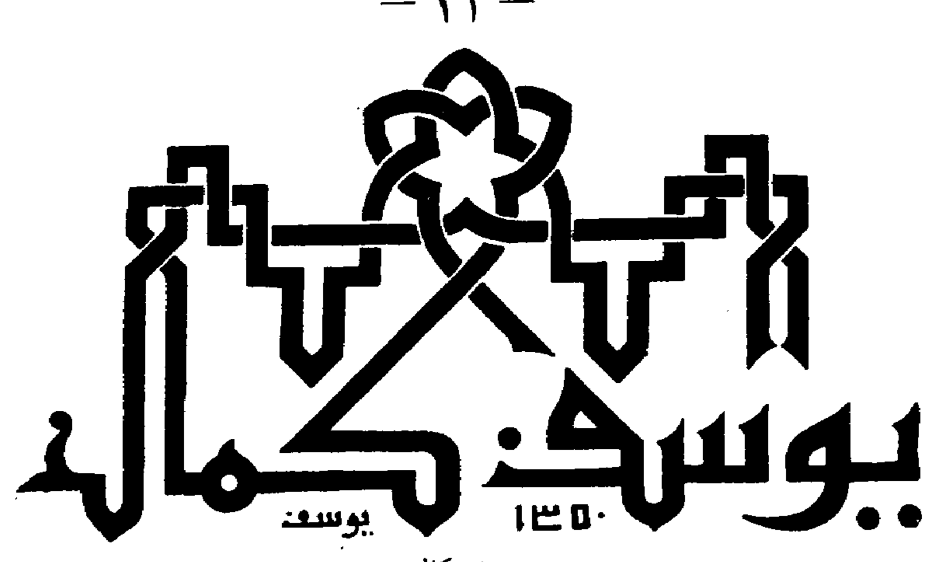
وكثيراً من الامراء وأشراف المملكة المصرية وساداتها . وهذه نماذج بعضها



الأمير عمر طوسون



يوسف كمال



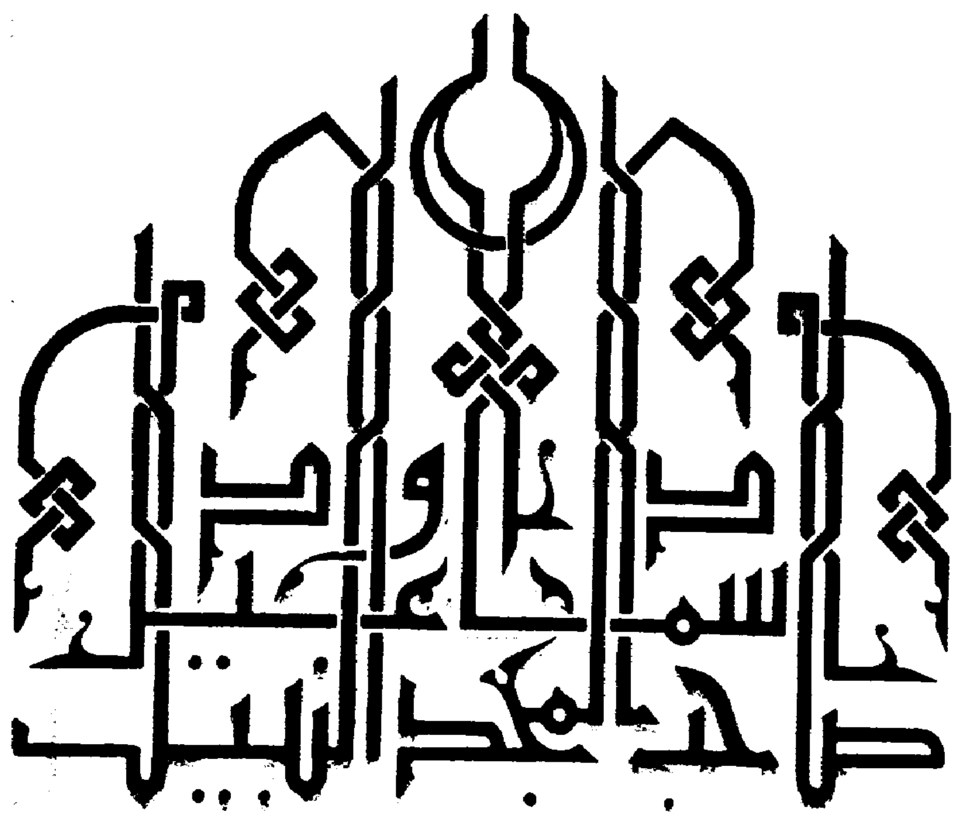
يوسف كمال

صورة كتابة عملت مفرغة على النحاس في باب حديقة سراى صاحب المجد النبيل عمرو ابراهيم

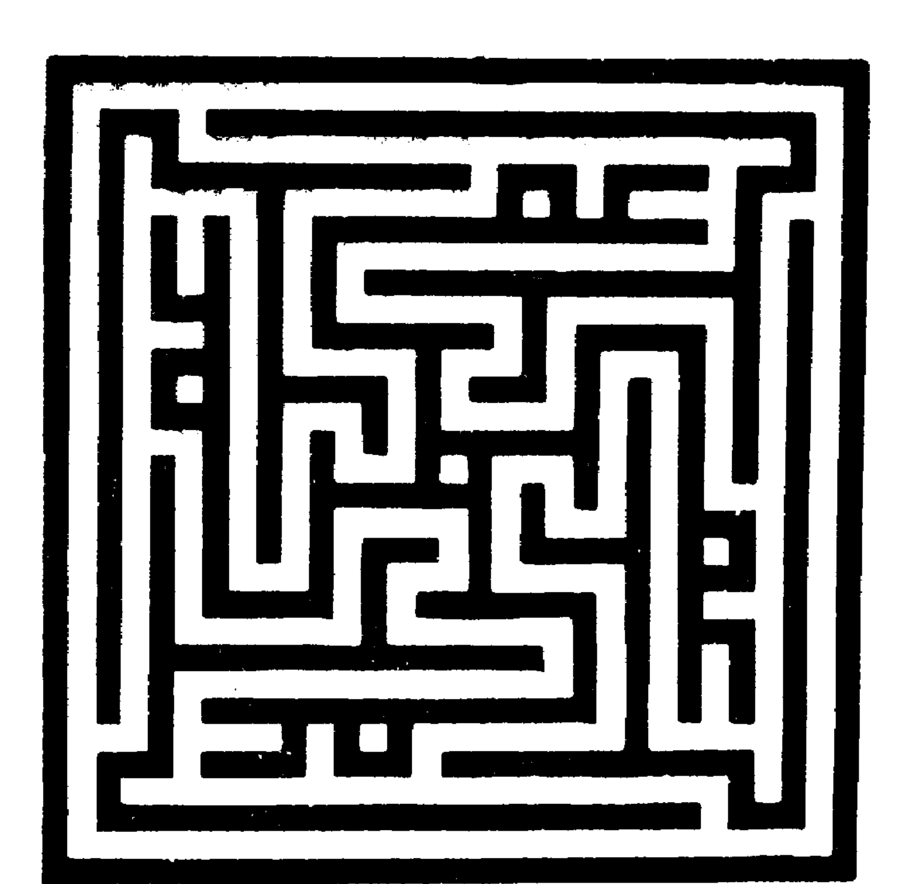


عمرو ابراهيم

ولا غالب الا الله   فتح ملك الملوك   دخل ملك الارض

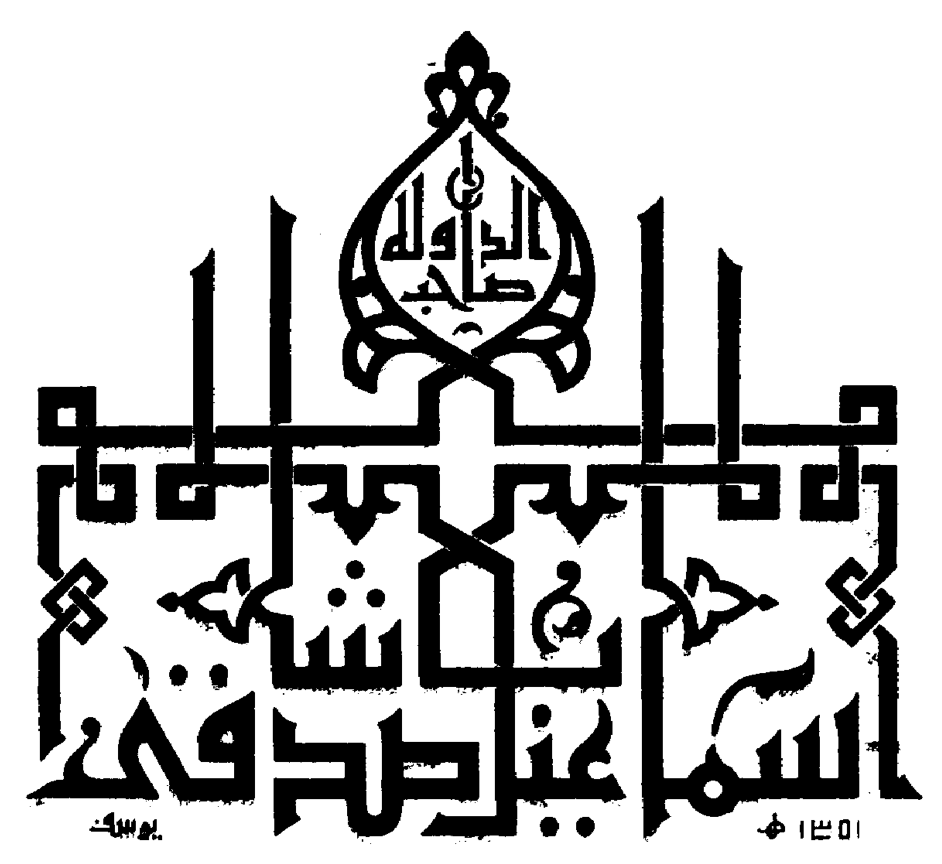


صاحب المجد النبيل اسماعيل داود

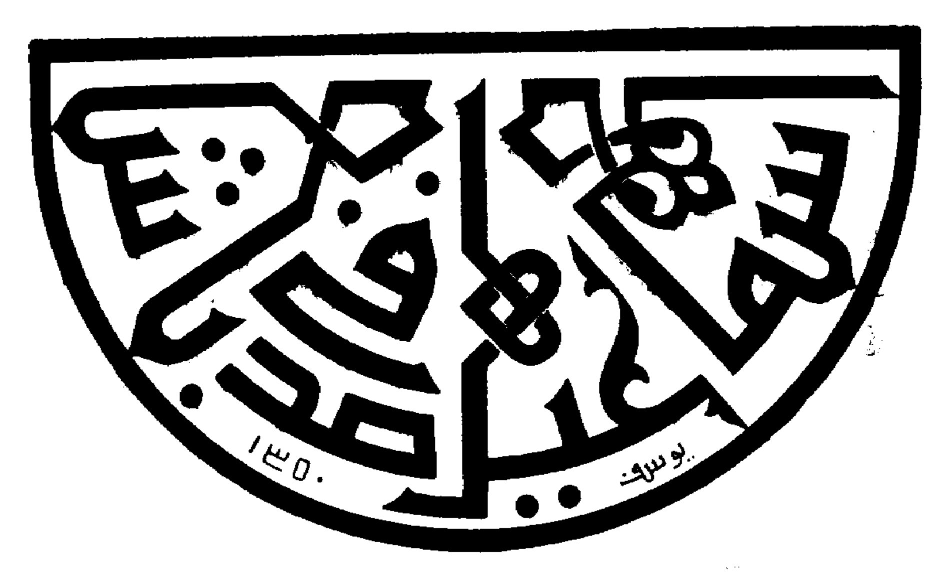


محمد على أربع مرات

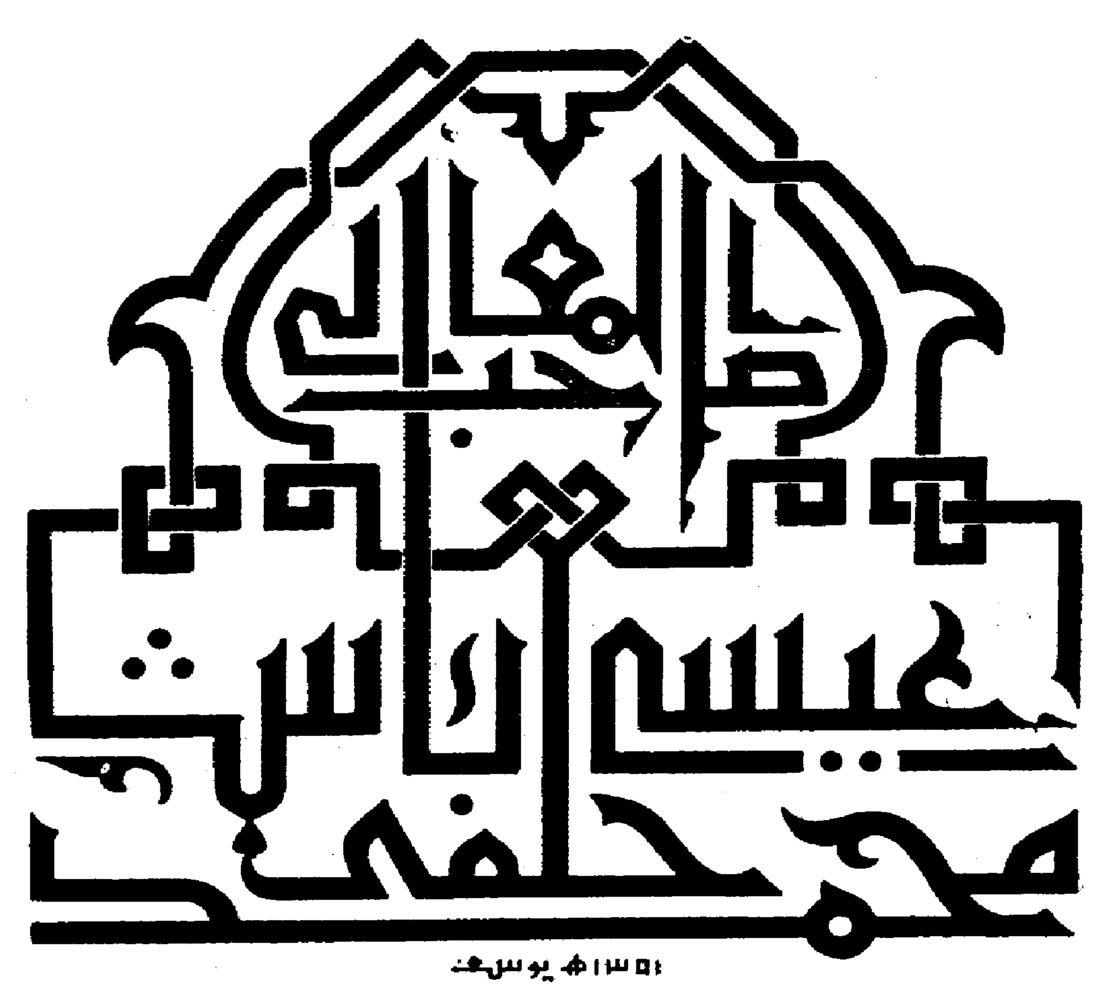
يوسف أحمد
١٣١١



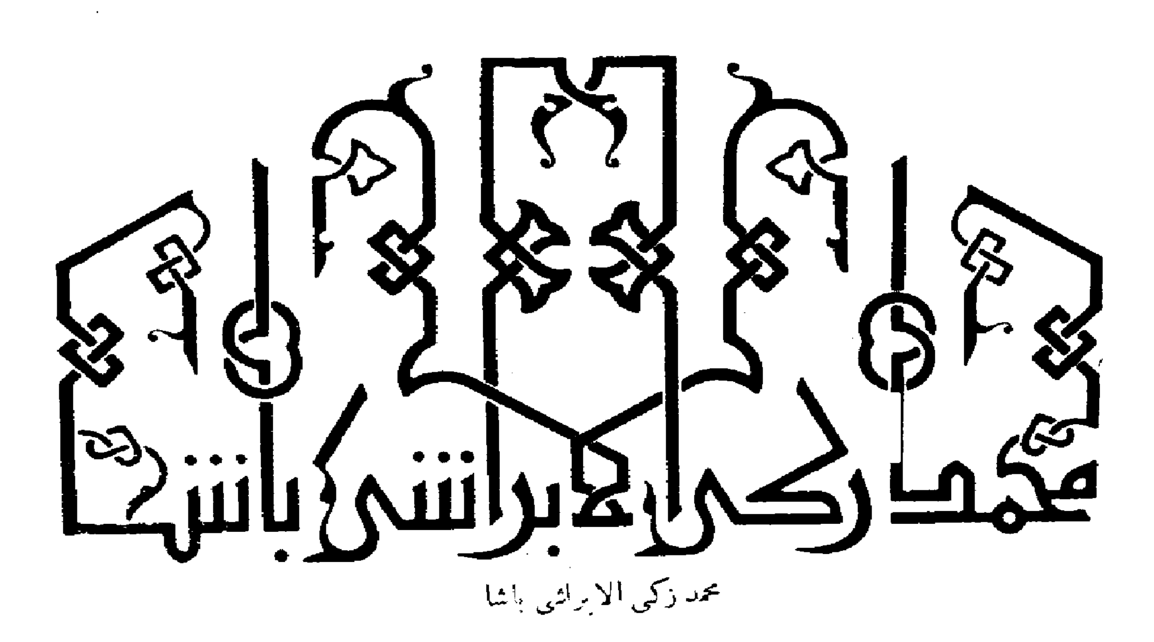
صاحب الدولة : اسماعيل صدق اشا



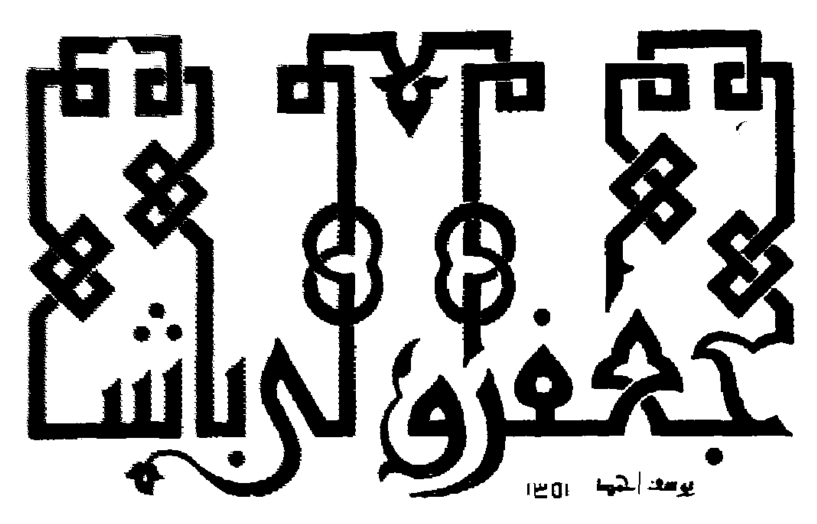
اسماعيل صدقى باشا



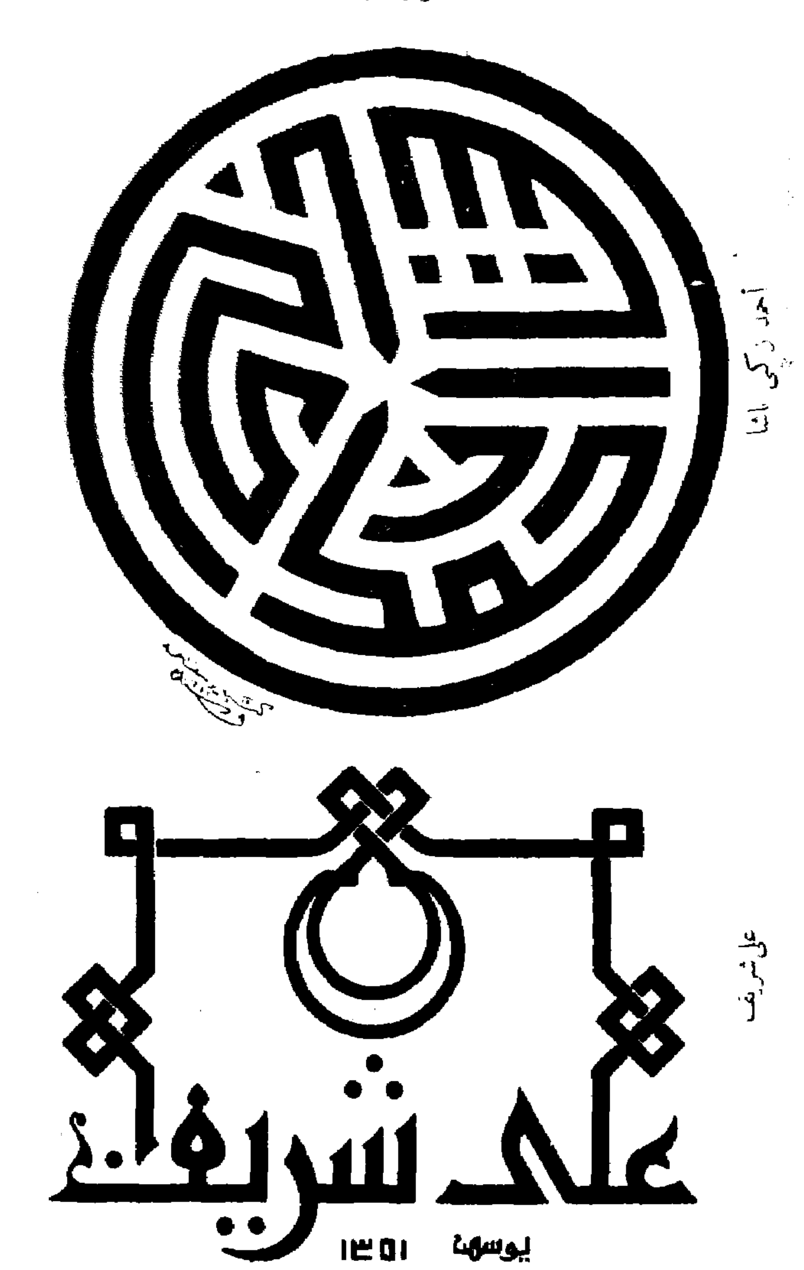
صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا



محمد زكى الابراشى باشا



جعفر ولى باشا

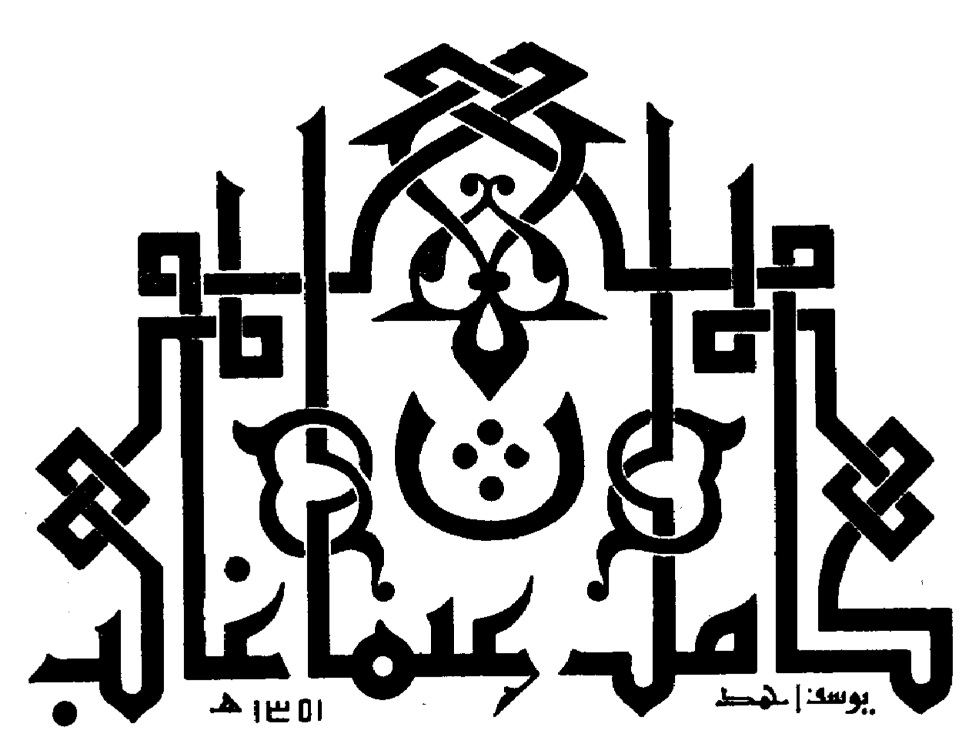


أحمد زكى باشا

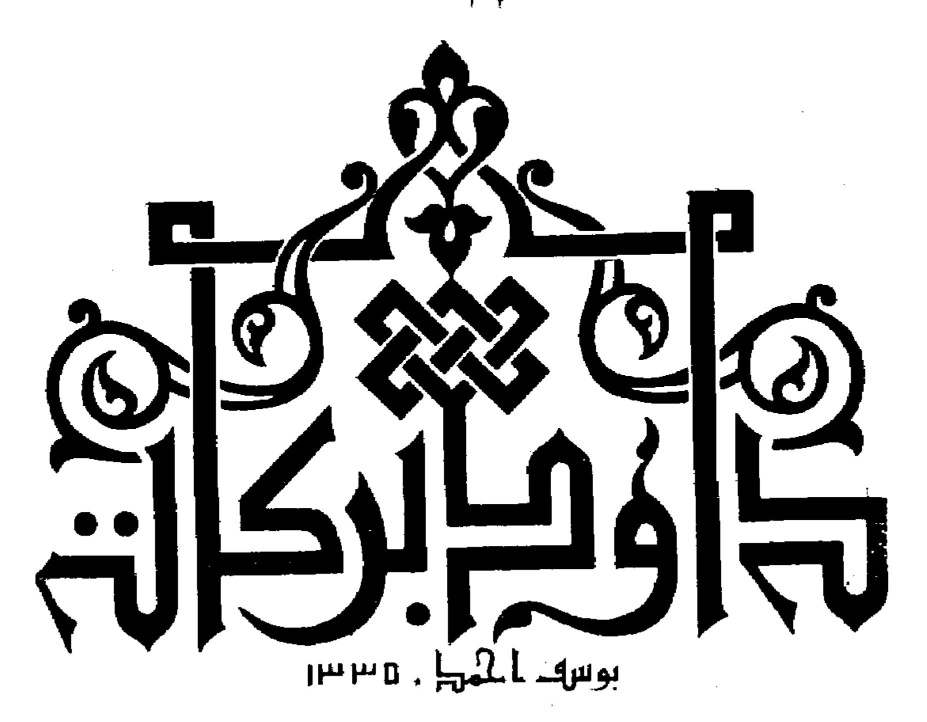
على شريف

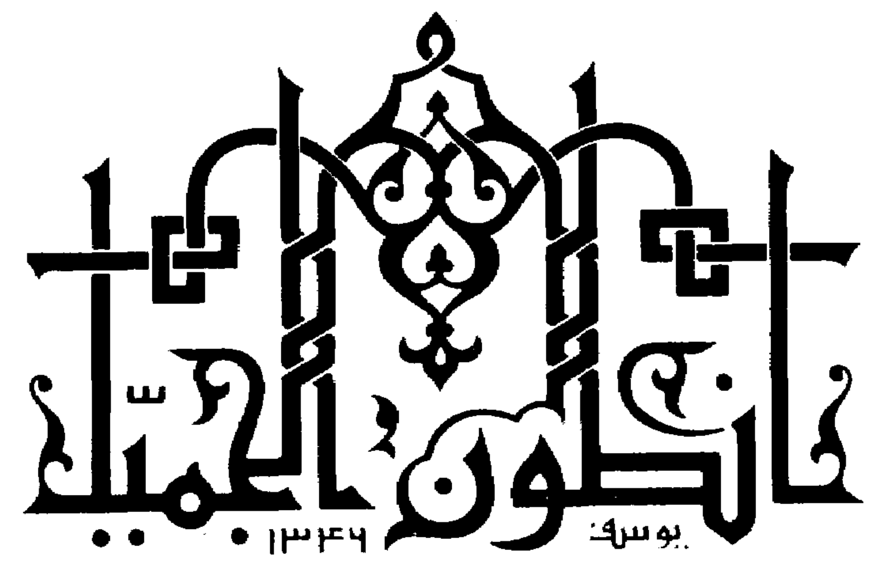


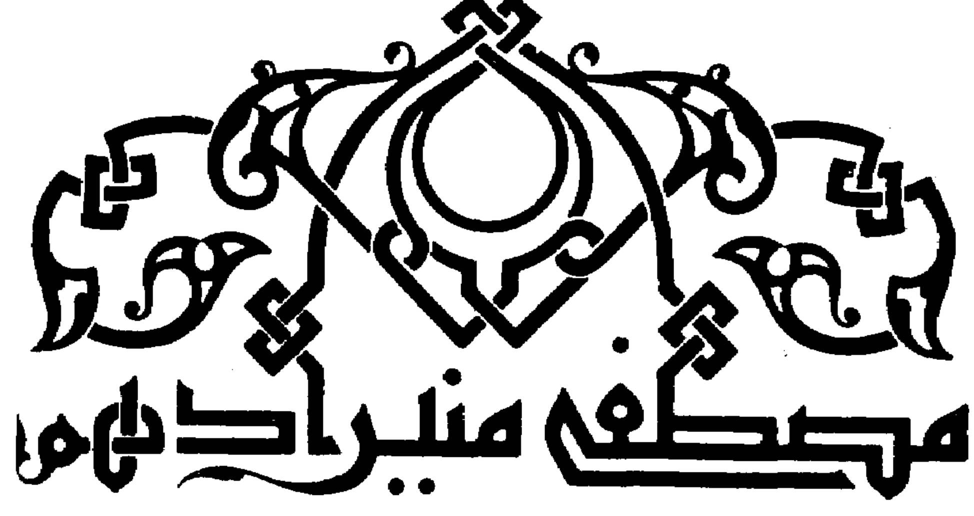
محمد امين بهجت بك



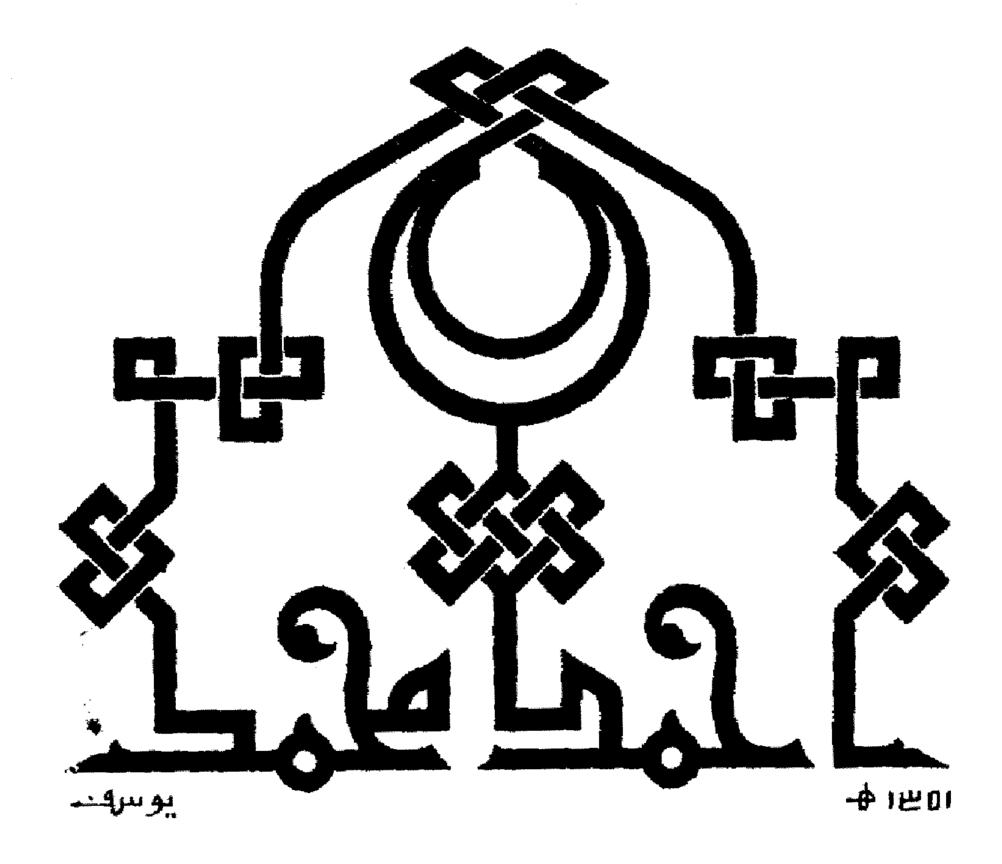
كامل عثمان غالب

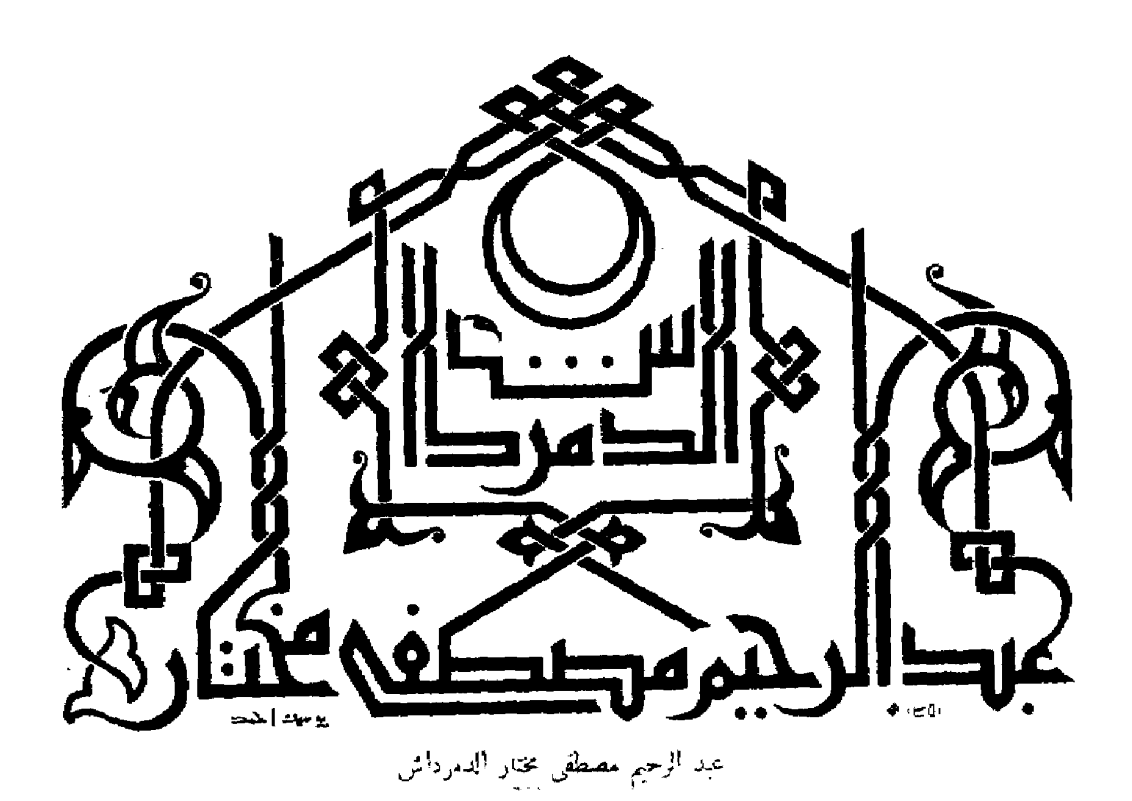




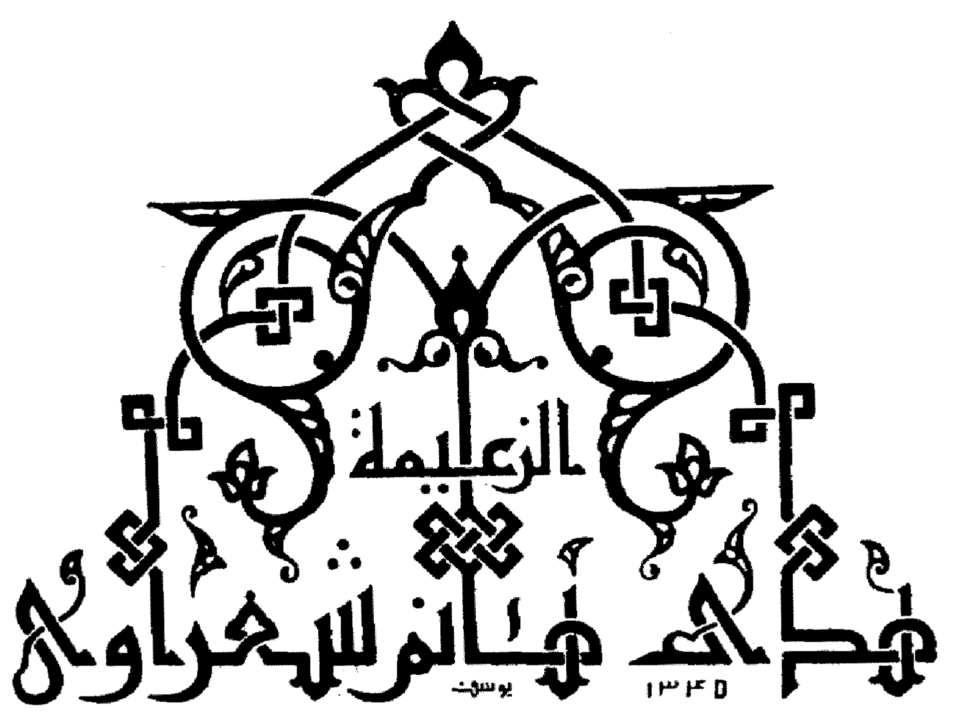


مصطفى منير أدهم

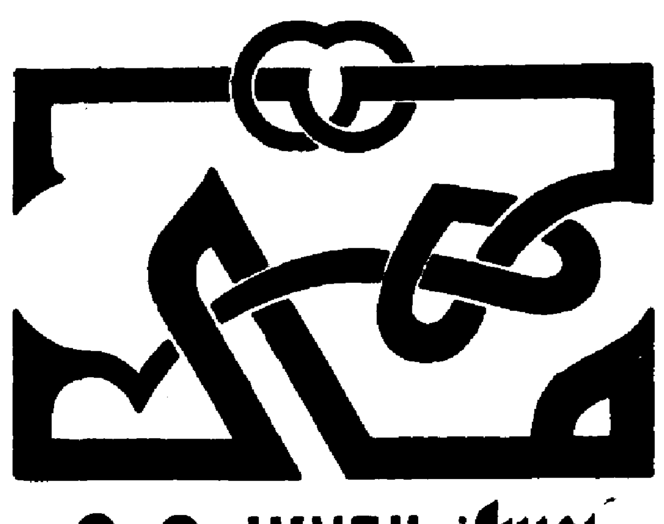




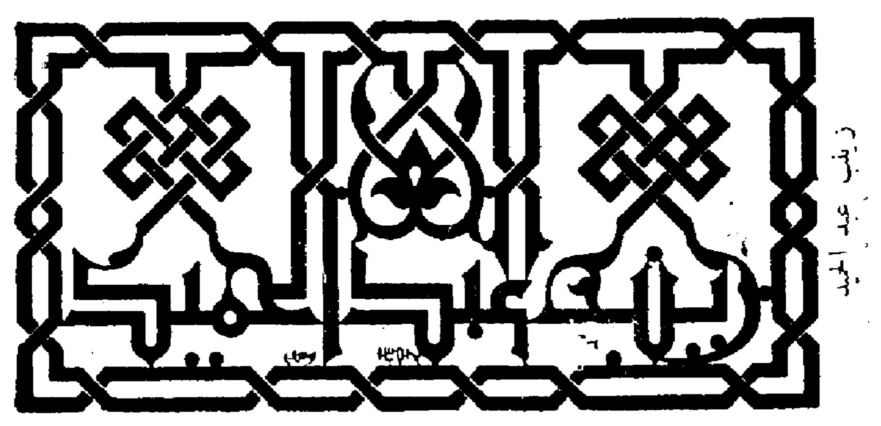
عبد الرحيم مصطفى مختار الدمرداش



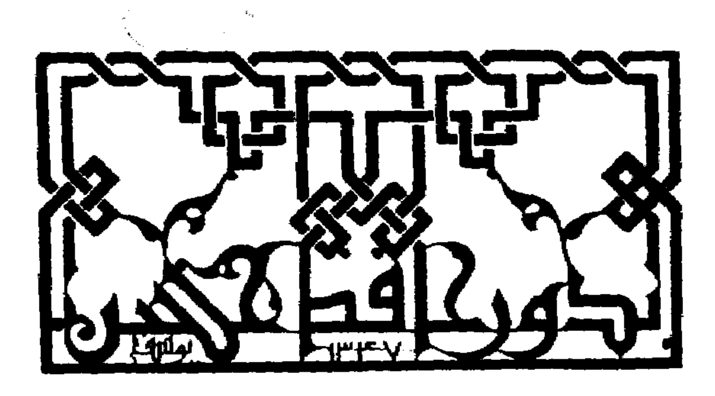
الزعيمة هدى هانم شعراوى



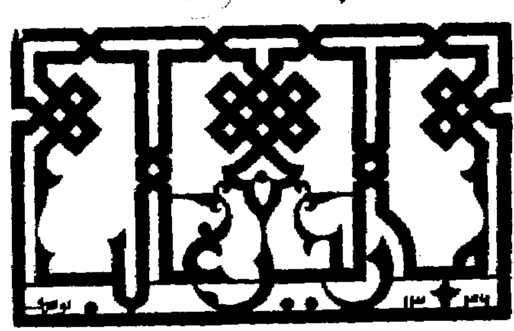
أسماء عملت مصغرة من الذهب حفراً ووضعت على حقائب اليد



زينب عبد المجيد

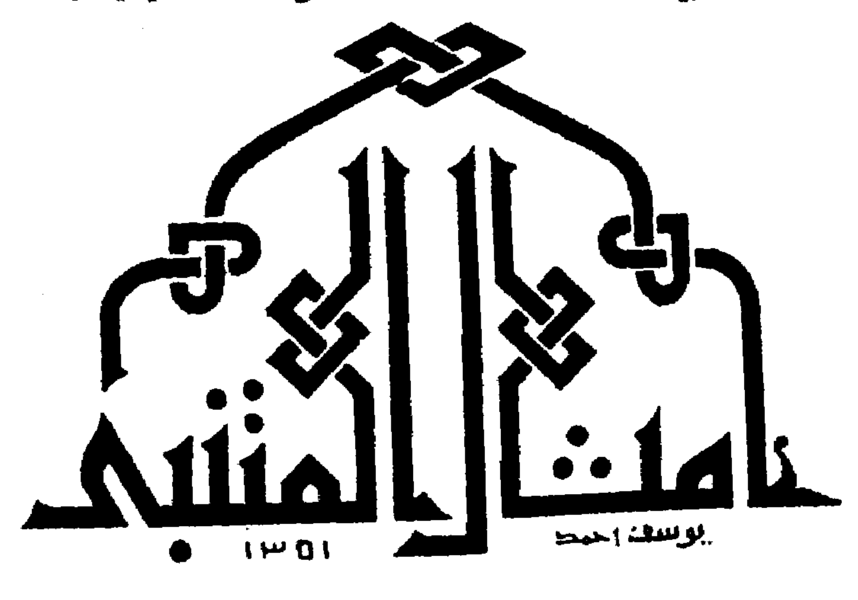


بدور حافظ حسن



مارليز غالب

ومن عهد قريب كلفني الاستاذ أحمـد سعيد البغدادي افندي بكتابة عنوان كتابه (أمثال المتنبي) بالخط الكوفي ، فكتبته من قاعدتين جميلتين وهاهما :





واقتضت إرادة مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم «فؤاد الأول» أن يدرس الخط الكوفى فى مدرسة تحسين الخطوط التى أمر حفظه الله بانشائها

فعينت فى منتصف شهر اكتوبر من سنة ١٩٣٢ لتدريسه. فكان سرورى لهذا الاختيار لا يقدر، لأنى شعرت بوجوب انتشار هذا الفن بين علماء الخط قبل حلول أجلى. وسترون إن شاء الله أول معرض للخطوط فى مصر يعرض فيه الخط الكوفى من تلاميذى بمدرسة تحسين الخطوط

وإنى أرى لدوام هذا الخط الأثرى الجميل، والرمز المجيد، للأمة العربية، ان تكتب به من الآن أسماء الناس على البطاقات، وأسماء الكتب، وأسماء الجرائد والمجلات، لما فيه من بهجة الفن والحلية، ولأن ذلك يدعو إلى وجود عمل للخطاطين الذين يتعلمون هذا الخط الآن فى مدرسة تحسين الخطوط فيما بعد

وسيسجل التاريخ هذه المأثرة الباهرة لجلالة مولانا الملك المعظم، كما يسجل لمصر فخر أحياء الخط الكوفى، بيد أحد أبنائها — فيها وحدها — إذ لا يوجد الآن فى جميع البلاد العربية من يكتب الخط الكوفى على قواعده الصحيحة غيرى.

وأقول لحضراتكم ان الذى حقق لمصر هذه الامنية دون غيرها من الاقطار العربية وأحياها الخط الكوفى على يدى بعد أن لبث راقداً نحو أربعمائة سنين أربعة أمور

أولها: انى رسام والرسم يسهل تعلم الخط الكوفى ويشوق اليه

الثانى: ان كتابة الخط الكوفى كانت من أعمال وظيفتى. فكان تعلمه من البواعث التى لها شأنها فى نفسى وقتئذ

الثالث: أن فى مصر المحروسة من المساجد الاثرية التى أنشئت فى قرون مختلفة ما ليس فى غيرها من الاقطار العربية. وقد سلمت من عبث المخربين برادع دينى غالبا

الرابع: ان القرافة المصرية كانت أعظم خزانة متينة لحفظ الاحجار التى عليها الكتابة الكوفية بجميع أقلامها، وعلى كل شاهد تاريخ كتابته. ولا أخال ان فى قطر آخر من أقطار الدنيا توجد خزانة حصينة لمثل هذه الكنوز الثمينة

الخاتمة

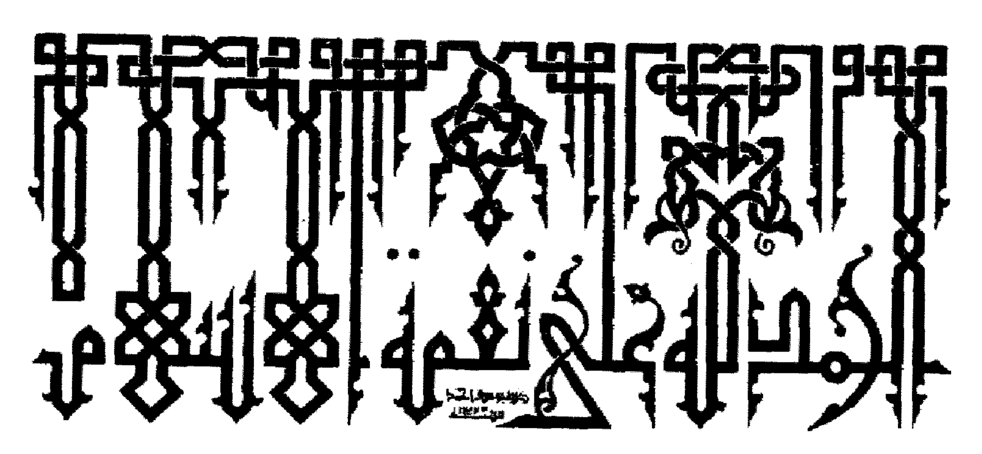
وها أنا أختم محاضرتي بكلمة صغيرة أرجو أن تصغوا لها :

سادتي : انما ذكرت ماذكرت عن نفسي لحضراتكم وانا أحاضر في جمعية الشبان المسلمين لأجعله درساً اعلمه بعد خبرة وتجربة لأبنائي الشبان المسلمين خصوصاً ، والمصريين عموماً ليعلموا أن من يتقي ويصبر ويثابر ويجد وراء جلائل الاعمال يجدر به أن ينال أمنيته منها ، كما أن من تقف به عزيمته عند حدها قد لا يتجاوز مكانه في هذا المعترك .

الى هنا انتهت محاضرتي التي ختمت بنصيحتي لأبناء وطني وأرجو أن ينتفعوا بها ثم أعود فأكرر دعائي لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم وأقول :

« ليحي الملك فؤاد »

يوسف احمد



الحمد لله على نعمة الاسلام